العهود المحمدية

- روى الشيخان مرفوعا : [[سبعة يظلهم ا في ظله يوم لا ظل إلا ظله فذكر منهم إمام عادل]] . وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما مرفوعا : [[ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم]] . وروى مسلم والنسائي مرفوعا : [[إن المقسطين عند ا تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا]] . وروى مسلم مرفوعا : [[أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق]] الحديث والمقسط : العادل . وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعا : [[عدل يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة]] . زاد في رواية الأصبهاني : [[قيام ليلها وصيام نهارها وجور ساعة في حكم أشد وأعظم عند ا D من معاصي ستين سنة]] . وروى الترمذي والطبراني مرفوعا : [[أحب الناس إلى ا يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل]] . زاد في رواية رفيق . وسيأتي في عهود المنهيات عدة أحاديث تتعلق بالجور في الحكم والاحتجاب وغير ذلك فراجعه . وا تعالى أعلم .

- (أخذ علينا العهد العام من رسول ا A) أن نرغب من ولي من إخواننا ولاية في العدل في رعيته ومعاملتهم بالرفق والشفقة والإذن في الدخول عليه في كل وقت إلا في وقت ضرورة شرعية لأن من لم يكن مع رعيته كذلك عزلته المرتبة ونفرت منه وما ولى ا تعالى عبدا على عباده إلا أن يكون لهم كالأب الشفيق والأم الحنونة .

ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ورياضة نفس حتى يصير يستلذ بمخالفة رعيته لأوامره العرفية ليحلم عليهم لأن الخلق في حجر الولاة كالنغم والمعز في يد راعيهم وربما انتشروا منه في أرض ذات شوك وهو حاف فهذا حكم الخلق ولولا أنهم بهائم لما احتاجوا إلى من يرعاهم .

وفي الأثر الوارد أن موسى عليه السلام ما كلمه ربه إلا بعد صبره على رعاية الغنم وما من نبي إلا وقد رعى الغنم . والسر في ذلك الإدمان بصبره على الغنم قبل صبره على قومه وبلغنا أنه بالغ في الشفقة حتى أنه أورد الغنم مرة على الماء فكان فيهم نعجة عرجاء فلم تستطع أن تشرب من الجرف فنزل الماء وجعلها على ظهره حتى شربت فرعية كل راع من سلطان أو أمير أو شيخ في الطريق هم ربحه وخسرانه فيهم يربح وبهم يخسر .

وسمعت سيدي عليا الخواص C يقول : ينبغي لكل من ولاه ا ولاية على الناس أن يصبر على مخالفتهم لأوامره لا سيما في أوائل الولاية حتى ترتاض نفسه ويتمكن في مقام الصبر والحلم

فإن من كانت رعيته منقادة له فهو خداع لا يظهر مقامه في الحلم فليقل من ضجر ممن ولاه ا لنفسه : إن لم تتحملي أنت عوج رعيتك فمن يحمله ؟ وبلغنا أن ذا الكفل عليه السلام لم يكن رسولا وإنما كفل رسول زمانه حين خرج في غزاة وقال له اخلفني في قومي خلافة حسنة فكان لا ينام في الليل ولا في النهار فتقلق يوما من ذلك فأراد أن ينام في القائلة فغلق بابه ووضع رأسه فأول ما خفق به النوم دق إبليس عليه الباب فتصدع رأسه وقال قم افصل بيني وبين خصمي وكان قصد إبليس أنه يتقلق ويترك الخلافة لما علم لذي الكفل في ذلك من الأجر العظيم فقام وفصل بينهما فأتاه في اليوم الثاني كذلك والثالث كذلك إلى أن ألهمه ا تعالى أنه إبليس فاستعاذ با منه فانصرف عنه فلولا أنه كان من الصالحين لفتنه عن دينه فلينتبه كل من ولي ولاية لمثل ذلك .

وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور المخالفة للأدب مع الشيخ من كل وجه ليعرض الشيخ للنفرة منهم فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمك يصير يسخر بالشيخ فإنهم قالوا : حكم الشيخ حكم الصياد الذي يصطاد المريدين من أفواه الشياطين ويخرجهم من تحت أسنانهم .

وقد وقع لي مرة أن جميع إخواني المقيمين في الزاوية تغيرت أحوالهم وثقل الذكر والخير على نفوسهم حتى لم يبق في يد حكمي منهم شعرة واحدة فأردت الانتقال من الزاوية إلى مكان ليس فيه فقراء فلما أردت الخروج من الزاوية تمثل لي إبليس تجاهها وهو يصفق ويرقص ويقول لي غلب غلب غلب فرجعت فزاد عليهم الأمر وطلبوا أن يحترفوا بالقرآن في ليالي الجمع وغيرها ويتركوا مجلس ذكر ا والصلاة على نبيهم احتسابا فتوجهت للنبي A في الاستئذان في ذلك فرأيت سيدي عليا الخواص C وهو واقف خلف باب لا أرى من وجهه إلا أنفه وهو يقول لي : يقول لك رسول ا A اصبر على إخوانك طالبا وجه ا ولا تبال بمخالفتهم لأوامر ا D وتخولهم بالموعظة كل حين فعلمت أن ذلك إنما كان امتحانا لي في الصبر حين وسوس لي إبليس وقال لي ليس لتربيتك فيهم ثمرة والإنسان إنما يزرع في أرض تنبت الزرع ومن بذر في السباخ [أي الأراضي المالحة . دار الحديث] فهو قليل العقل وغاب عني أن ا تعالى ما طلب مني إلجاءهم إلى امتثال أمره وإنما طلب مني ما طلب من رسول ا A بقوله : { إن عليك إلا البلاغ } . وكان رسول ا A من وفور شفقته يود أن لو دخل الناس كلهم الجنة فقال ا تعالى له : { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن ا } . وقال تعالى : { ولو شاء ا لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين } .

فكل داع إلى ا تعالى لا بد أن يقع له كما وقع لرسول ا A وراثة محمدية فيحجبه ا تعالى عن شهود انقسام أهل القبضتين إلى شقي وسعيد وعن كون ذلك حتما لا بد منه فلذلك يضيق صدر الداعي إذا عصوا أمره .

فيحتاج الداعي إلى ا إلى مراقبة شديدة على الدوام عرفا لأنهم قالوا مراقبة ا على الدوام من غير تخلل فترة ليس من مقدور البشر فافهم .

وقد قال لي مرة شخص من حذاق المريدين المقيمين عندي : لولا كثرة مخالفتنا لك ما عظم ا أجرك فأنت مأجور على كل حال إن أطعناك أو عصيناك فلك الأجر من الجهتين فا تعالى يزيده توفيقا كما أيدني آمين فإنه نبهني على أن ذوق الأمور ليس هو كالسماع بها وثبتني حين تزلزت وقد ثبت ا تعالى الرسل بما قصه عن بعضهم فقال : { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل } . وقال : { واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا } . وقال : { فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت } . وكل داع إلى ا تعالى على قدم رسول من الرسل وكل من جاءه بلاء فوق طاقته احتاج ضرورة ؟ ؟ وا هو المصبر له إن صبر فلا يوجد أحد أتعب قلبا ولا بدنا ممن يتولى أمور المسلمين لغلبة وقوع الملل منه وعدم تحمله ذم رعيته له لا سيما نظار المساجد فإن جميع المستحقين يؤذونهم بلسانهم ويشكونهم للحكام ويحملونهم على المحامل السيئة وأنهم يأكلون مال الوقف .

ولما تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة سمع جيرانه بكاء وعويلا في داره فسألوه عن ذلك فقالوا إن عمر قد خير زوجاته وسراريه بين الإقامة عنده من غير مسيس إلى أن يموت وبين أن يعتقهن أو يطلقهن ؟ وقال قد جاءني أمر شغلني عنكن فلا أقدر ألتفت إلى واحدة منكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة Bه . وبلغنا أنه كان لا ينام ليلا ولا نهارا إلا بعض خفقات وهو جالس ويقول : إن نمت في الليل ضيعت نفسي وإن نمت في النهار ضيعت حقوق الرعية .

وسمعت أخي أفضل الدين C يقول : يحاسب المؤمن الذي لم يتول ولاية عن نفسه في يوم كان مقداره قدر وقت صلاة يصليها ويحاسب من تولى ولاية عن نفسه وعن جميع رعيته ويسأل عن جميع رعيته ويسأل عن جميع حقوقهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فمن قام بواجبه حق ولايته كان إبليس له بالمرصاد فيدخل عليه الأمور التي يتقلق منها حتى يكاد يجزم بأنه يعزل نفسه من تلك الولاية وذلك مجرب لتحويل النعم والعزلة من تلك الولاية ثم إذا عزل يحرك ا تعالى عنده الندم عليها فيطلبها ويعسرها عليه حتى يقهره ويصير كالولي الذي سلب .

وقد وقع لبعض إخواننا أنه تقلق من كثرة الواردين عليه ومؤونتهم فقلت له : إن الناس يتمنون إن يكونوا موضعك في النعمة ويصبرون على ضيافة الناس وقضاء حوائجهم قال : اخترت أن أدخل مصر وأسكن في بيت من غير زاوية ولا مريدين ففي تلك الجمعة قيض ا تعالى له من زوار له مكاتيب وادعى أن تلك الرزقه الموقوفة على سماط الفقراء الواردين والمقيمين له وصار شيخ الزاوية يبرطل الحكام على رجوعها فلم يجيبوه إلى وقتنا هذا فذكرته بقوله فاستغفر .

فاصبر يا أخي على رعيتك كلما ملت نفسك منهم واعذر كل من فر من ولايته في هذا الزمان

المبارك ولا تسخر به تبتل بنظير ذلك . وقد حكى لي الأمير محيي الدين بن أبي أصبغ أحد أركان الدولة بمصر : أن شخصا كان له جار من القضاة سيء الخلق وكان يخرج خلقه على الأخصام فكان جاره يبالغ في الإنكار عليه يقول : إيش هذا الخلق وكان لذلك القاضي بيت فوق مجلس حكمه فلما أكثر عليه جاره من الإنكار قال له : احكم يا أخي مكاني غدا لأني أنا عازم على شرب الدواء فقال نعم فجاءه خصم ادعى على خصمه أن له عنده مائة دينار فقال : ما له عندي شيء فالتمس من المدعي البينة فأتى بثمانية يشهدون بها فقال : هؤلاء شهود زور فأتى بمزكين فزكوهم فثبت الحق على ذلك الخصم وطلب التقسيط عليه فأبى صاحب الحق فما أجاب إلا بعد أن كادت روحه تزهق منه فقال كم تقدر كل يوم على نصف فقال لا أقدر على ذلك فجعل عليه ذلك القاضي عثمانيا كل يوم فقال : لا أقدر : فقال : كل جمعة عثماني فقال : لا أقدر فقال كل شهر عثماني فقال : لا أقدر فقال كل سنة عثماني فقال : لا أقدر فقام القاضي النائب ورمى عمامة نفسه وصار ينطحه برأسه ويرفسه وبرجله وهو يقول : لا أقدر على عثماني ثم نادى القاضي الأصيل فقال تعالى انزل لحكمك عذرتك عذرتك .

وما ذكرت لك ذلك يا أخي إلا لتقيم الأعذار للناس في هذا الزمان إذا لم يصبروا على رعيتهم فإنهم في النصف الثاني من القرن العاشر الذي اختفى فيه أكابر الأولياء لعجزهم عن شروط الظهور من الصبر على مروق الناس من الحق وتكليفهم الولي أن يرد عنهم الأقدار مع تماديهم على القبائح فاعلم ذلك . { وا عليم حكيم }